

ليست شريعة الاسلام موقوفة على شئ من علومهم

العلم بجهة القبلة

كون اعتبار الجدى لمعرفة القبلة بدعة

من بدع المتكلمين ردهم ما صح من الفلسفة

إجماع المسلمين على أن الفلك مستدير

تفسير قوله تعالى كل في فلك يسبحون

العلم بالهلال

العلم بطلوع الفجر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه : (الرد على المنطقيين)

ليست شريعة الاسلام موقوفة على شئ من علومهم

فنحن قد بينا أن شريعة الإسلام ومعرفتها ليست موقوفة على شئ يتعلم من غير المسلمين أصلاً وإن كان طريقاً صحيحاً بل طريق الجبر و المقابلة فيها تطويل يغنى الله عنه بغيره كما ذكرنا في المنطق وهكذا كل ما بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم

- مثل العلم بجهة القبلة والعلم بمواقيت الصلوة والعلم بطلوع الفجر والعلم بالهلال فكل هذا يمكن العلم به بالطرق المعروفة التي كان الصحابة والتابعون لهم باحسان يسلكونها ولا يُحتاج معها إلى شئ آخر وإن كان كثير من الناس قد أحدثوا طرقاتاً آخر وكثير منهم يظن أنه لا يمكن المعرفة بالشريعة إلا بها وهذا من جهلهم

العلم بجهة القبلة

كما قد يظن طائفة من الناس أن العلم بالقبلة لا يمكن إلا بمعرفة أطوال البلاد وعروضها، وعرض البلد هو بعد ما بينه وبين خط الاستواء و الموازي كدائرة معدل النهار وذلك يعرف بارتفاع القطب الشمالي فان القطبين إذا كانا على دائرة الأفق كان بعد كل منهما عن خط الاستواء بعداً واحداً وليس لخط الاستواء عرض فإذا بعد الإنسان عن خط الاستواء مقدار درجة فلكية ارتفع القطب في قطره عن دائرة الأفق مقدار درجة ثم إذا بعد درجتين ارتفع القطب درجتين وهلم جراً فعرض البلد يعرف بارتفاع القطب فإذا كان البلدان عرضهما سواء كدمشق وبغداد وعرض كل منهما ثلاثاً وثلاثين درجة يكون ارتفاع القطب فيهما واحداً

وأما الطول فليس له حد في السماء يضبط به إذ هو بحسب المعمور من الأرض فيجعل الطول مبدأ العمارة وكانوا يحدون بجزائر تسمى جزائر الخالدات من جهة الغرب ويمكن أن تفرض بلدة ويجعل الطول شرقياً وغربياً كما فعل بعضهم حيث جعل مكة شرفها الله تعالى هي التي يعتبر بها الطول لأنها باقية محفوظة محروسة وجعل الطول نوعين شرقياً وغربياً

فهذا علم صحيح حسابي يُعرف بالعقل لكن معرفة المسلمين بقبلتهم في الصلاة ليست موقوفة على هذا ،

بل قد ثبت عن صاحب الشرع صلوات الله عليه أنه قال (ما بين المشرق والمغرب قبلة)

قال الترمذي حديث صحيح وبهذا كان عند جماهير العلماء أن المصلى ليس عليه أن يستدل بالقطب ولا الجدى ولا غير ذلك

بل إذا جعل من في الشام ونحوها المغرب عن يمينه والمشرق عن شماله كانت صلاته صحيحة

فإن الله إنما أمر باستقبال شطر المسجد الحرام وفي الحديث (المسجد قبله مكة ومكة قبله الحرم والحرم قبله الأرض) ولهذا لم يعرف عن الصحابة أنهم ألزموا الناس في الصلوة أن يعتبروا الجدي

كون اعتبار الجدي لمعرفة القبلة بدعة

ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره من العلماء على من ألزم الناس باعتبار الجدي فضلا عن طول البلاد وعرضها بل المساجد التي صلى فيها الصحابة كمسجد دمشق وغيره فيه انحراف يسير عن مسامطة عين الكعبة وكذلك غيره فكان هذا من الحكمة أن يعرف إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على أن المصلي ليس عليه مسامطة عين الكعبة بل تكفيه الجهة التي هي شطر المسجد الحرام

من بدع المتكلمين ردهم ما صح من الفلسفة

وكذلك ما يُعلم بالمشاهدة والحساب الصحيح من أحوال الفلك علم صحيح لا يُدفع ، والأفلاك مستديرة ليست مضلعة ومن قال إنها مضلعة أو جوز ذلك من أهل الكلام ، فهو وأمثاله ممن يرد على الفلاسفة وغيرهم ما قالوه من علم صحيح معقول مع كونه موافقاً للمشروع .. وهذا من بدع أهل الكلام الذي ذمه السلف وعابوه ، فإنهم ناظروا الفلاسفة في العلم الإلهي في مسألة حدوث العالم وإثبات الصانع ومساائل المعاد والنبوات وغير ذلك بطرق فاسدة حائذة من مسلك الشرع والعقل وكان ذلك من أسباب ضلال كثير من الناس حيث ظنوا أن ما يقوله هؤلاء المبتدعون هو الشرع المأخوذ عن الرسول وليس الأمر كذلك بل كل ما عُلم بالعقل الصريح فلا يوجد عن الرسول إلا ما يوافقه ويصدق

إجماع المسلمين على أن الفلك مستدير

وما نحن فيه من كرية الافلاك واستدارتها من هذا الباب ، بل هذا مما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين لا يُعرف بينهم نزاع في أن الفلك مستدير ، وقد حكى إجماع علماء المسلمين على ذلك غير واحد ، منهم أبو الحسين بن المنادى الإمام الذي له أربعمائة مصنف وكان من الطبقة الثانية من أصحاب أحمد ومنهم أبو محمد بن حزم ومنهم أبو الفرج بن الجوزي والأثار بذلك معروفة ثابتة عن السلف كما دل على ذلك الكتاب والسنة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في جواب مسألة سنلنا عنها في هذا الباب فذكرنا دلالة الكتاب والسنة على ذلك موافقا لما عُلم بالحساب العقلي وقد قال تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الأنبياء وقال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) يس

تفسير قوله تعالى كل في فلك يسبحون

*وقد ذكر الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره ثنا أبي يعني الامام أبا حاتم الرازي ثنا نصر بن علي حدثني أبي عن شعبة بن الحجاج عن الأعمش عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (كل في فلك يسبحون) قال في فلكة مثل فلكة المغزل وذكر عن أحمد الزبيري عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (يسبحون) قال يدورون في أبواب السماء كما يدور المغزل في الفلكة *وقال ثنا الحسن بن الحسن ثنا إبراهيم بن عبدالله بن الهروي ثنا حجاج عن أبي جريح أخبرني عبدالله بن

كثير أنه سمع مجاهدا يقول (وكل في فلك يسبحون) قال النجوم والشمس والقمر فلكة كفلكة المغزل وقال مثل ذلك الحسبان يعني مجاهد حسبان الرحي وهو سفودها القائم الذي يدور عليه والحسبان في اللغة سهام قصار الواحدة حسبانة وكان مجاهد يفسر قوله والشمس والقمر بحسبان الرحمن بهذا وقال غيره هو من الحساب قيل هو مصدر وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان

*قال مجاهد ولا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا تدور الفلكة إلا بالمغزل ولا يدور الحسبان إلا بالرحى ولا يدور الرحي إلا بالحسبان قال فلكة النجوم والشمس والقمر هي في فلك لا يذمن إلا به ولا يدوم إلا بهن قال فنقر بأصبعه قال فقال مجاهد يذمن كذلك كما نقر قال فالحسبان والفلك يصيران إلى شئ واحد غير أن الحسبان في الرحي والفلك في المغزل كل ذلك عن مجاهد

*قلت قوله لا يدوم إلا به أي لا يدور إلا به ومنه الدوام بالضم والتشديد وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم على الأرض أي تدور ومنه تدويم الطير وهو تحليقه وهو دورانه في طيرانه ليرتفع إلى السماء وقوله نقر بأصبعه يعني نقر بها من الأرض وأدارها ليشبه بذلك دوران الفلك

وقال ابن أبي حاتم قرى على يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا السري ابن يحيى قال سأل رجل الحسن البصري عن قوله كل في فلك يسبحون قال يعني استدارتهم

*وقال بنده ثنا أبي ثنا عبيد الله بن عائشة ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا أبو روق سمعت الضحاك في قوله (كل في فلك يسبحون) قال يدور ويذهب

*ثنا أبي ثنا مسروق بن المرزبان ثنا يحيى بن أبي زائدة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (كل في فلك يسبحون)

قال الفلك كحديدة الرحي

يعني قطب كحديدة الرحي

وهو قطب الرحي

وهو السفود القائم الذي يسمى أيضا حسباناً

*ثنا بن علي الحسين بن حنيد ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك في (فلك يسبحون)

قال الفلك : السرعة والجري في الاستدارة

و يسبحون : يعملون.

يريد أن لفظ الفلك يدل على الاستدارة وعلى سرعة الحركة

كما في دوران فلكة المغزل ودوران الرحي

*وقال ثنا أبي ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله في فلك يقول دوران وقوله يسبحون يعني يجرون

وعن إياس بن معاوية قال السماء على الأرض مثل القبة

وقد بسط القول في ذلك بدلائله من الكتاب والسنة في غير هذا الموضع

ولفظ الفلك في لغة العرب يدل على الاستدارة

قال الجوهري: فلكة المغزل سميت بذلك لاستدارتها

والفلكة قطعة من الأرض أو الرمل تستدير وترتفع على ما حولها والجمع فلك

وقال : ومنه قيل فلك ثدى الجارية تفليكا

و تفلك : استدار

قلت : والسباحة تتضمن الجري بسرعة كما ذكر ذلك أهل اللغة

العلم بالهلال

وكذلك أيضا الهلال فإن الشارع جعله معلقا بالرؤية فقال (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) وقال (إن أمة

أمية لانكتب ولا نحسب إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا) وقال (صوموا من الوضح الى الوضح) والعارفون بالحساب لا يتنازعون في أن الهلال لا يمكن ضبط وقت طلوعه بالحساب فإنهم وإن عرفوا أن نور القمر مستفاد من الشمس وعرفوا أنه إذا اجتمع القرصان عند الاستسرار لا يرى له ضوء فاذا فارق الشمس صار فيه النور فهم أكثر ما يمكنهم ان يضبطوا بالحساب كم بعده عند غروب الشمس عن الشمس هذا إذا قدر صحة تقويم الحساب وتعديله فإنهم يسمونه علم التقويم والتعديل لأنهم يأخذون أعلى مسير الكواكب وأدناه فيأخذون معدله فيحسبونه فإذا قُدر أنهم حزروا ارتفاعه عند مغيب الشمس لم يكن في هذا ما يدل على ثبوت الرؤية ولا انتفائها لأن الرؤية أمر حسي لها أسباب متعددة من صفاء الهواء وكدره وارتفاع المنظر وانخفاضه وحدة البصر وكلاله فمن الناس من لا يراه و يراه من هو أحد بصرأ منه ويرى من مكان عالٍ ولا يرى من منخفض ويكون الجو صافيا فيرى ويكون كدراً فلا يرى فلما كانت أسباب الرؤية لا تنضبط بالحساب لم تمكن معرفة وقت الرؤية بالحساب ولهذا كان قدماء علماء الهيئة كبطلميوس صاحب المجسطي وغيره لم يتكلموا في ذلك بحرف وإنما تكلم فيه بعض المتأخرين مثل كوشيار الديلمي ونحوه لما رأوا الشريعة قد جاءت باعتبار الرؤية أحبوا ان يعرفوا ذلك بالحساب فضلوا وأضلوا ومن قال إنه لا يُرى على اثنتي عشرة درجة أو عشر أو نحو ذلك فقد أخطأ فان من الناس من يراه على أقل من ذلك ومنهم من لا يراه على ذلك بل قد يراه نصف النهار إذا فارق الشمس أدنى مفارقة فلا للعقل اعتباروا ولا للشرع عرفوا ولهذا أنكر عليهم ذلك حُذاق صناعتهم

نأتى للجزء الأهم من كلام شيخ الإسلام

العلم بطلوع الفجر

وهكذا أمر الفجر فإن الزمان يوم وأُسبوع وشهر وعام فأما اليوم فيعلم بالحس والمشاهدة وكذلك الشهر والعام يعرف بالعدد في القمرية وبالرؤية في الشمسية قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) (الكهف) كانت ثلثمائة شمسية وثلثمائة وتسع هلالية وأما الأسبوع فليس له حد يعرف بالحس والعقل وإنما عرف بإخبار الأنبياء أن الله خلق هذا العالم في ستة أيام ثم استوى على العرش ولهذا شرع الله لأهل الملل أن يجتمعوا في الأسبوع يوما لعبادة الله وحده ويكون ذلك سببا لحفظ الأسبوع الذي به يعلم أن الله خلق هذا العالم في ستة أيام ولهذا لا توجد أسماء الأسبوع في لغة من لا يعرفون شرائع الأنبياء كالمشركين من الترك وغيرهم فإنهم لا يعرفونه والعادة تتبع التصور ، فمن لم يتصور شيئا لم يعرفه..

و اليوم

* يُعرف بطلوع الفجر

وهو النور الذي يظهر من جهة المشرق وهو أول نور الشمس المتصل الذي لا ينقطع بخلاف الفجر الأول فإنه يأتي بعده ظلمة

والاعتبار في الشرع في الصلاة والصيام وغير ذلك بالثاني

* ويُعرَف بالحس والمشاهدة كما يُعرف الهلال

* ويُعرَف بالقياس على ما قرب منه تقريباً ،

إذا عُرف عند طلوعه مواضع الكواكب من السماء فيُستدل في اليوم الثاني بذلك على وقت طلوعه

وأما تقدير حصة الفجر بأمر محدود من حركة الفلك مساو لحصة العشاء كما فعله طائفة من الموقتين فغلطوا في ذلك

كما غلط من قدر قوس الرؤية تقديرًا مطلقاً

وذلك لأن الفجر نور الشمس

وهو شعاعها المنعكس الذي يكون من الهواء والأرض

وهذا يختلف باختلاف مطارحه التي ينعكس عليها

فإذا كان الجو صافياً من الغيوم ، لم يظهر فيه النور كما يظهر إذا كان فيه بخار ..

فإن البخار لغلظه وكثافته ينعكس عليه الشعاع ما لا ينعكس على الهواء الرقيق..

ألا ترى أن الشمس إذا طلعت

إنما يظهر شعاعها على الأرض والجبال ونحو ذلك من الأجسام الكثيفة ،

وإن كانت **صغيرة** كالمرأة والماء كان أظهر و أما الهواء فإنه و إن استتار بها فإن الشعاع لا يقف فيه بل

يخرقه إلى أن يصل إلى جسم كثيف فينعكس

ففي الشتاء تكون الأبخرة في الليل كثيرة لكثرة ما يتصعد من الأرض بسبب رطوبتها ولا يحل البخار فيها فينعكس الشعاع عليه فيظهر الفجر حينئذ قبل ما يظهر لو لم يكن بخار

و أما الصيف فإن الشمس بالنهار تحلل البخار فإذا غربت الشمس لم يكن للشعاع التابع لها بخار يرده

فتطول في الصيف حصة العشاء بهذا السبب وتطول في الشتاء حصة الفجر بهذا السبب

وفي الصيف تقصر حصة الفجر لتأخر ظهور الشعاع إذ لا بخار يرده لأن الرطوبات في الصيف قليلة

وتقصر حصة العشاء في نهار الشتاء لكثرة الأبخرة في الشتاء

فحاصله : أن كلاً من الحصتين تتبع ما قبلها في الطول والقصر بسبب البخار لا بسبب فلكي

والذين ظنوا أن ذلك يكون عن حركة الفلك قدروه بذلك ، فغلطوا في تقديرهم ،

وصاروا يقولون حصة الفجر في الشتاء أقصر منها في الصيف وحصة العشاء في الصيف أقصر منها في

الشتاء ، فإن هذه جزء من الليل وهذه جزء من النهار فتتبعه في قدره **ولم يعرفوا الفرق بين طلوع الشمس**

وغروبها و بين طلوع شعاعها

فإن الشمس تتحرك في الفلك

فحركاتها تابعة للفلك

والشعاع هو بحسب ما يحمله وينعكس عليه من الهواء والأبخرة

وهذا أمر له سبب أرضي ليس مثل حركة الفلك

ولهذا كان ما قالوه بالقياس الفاسد أمراً يخالفه الحس ويعرف كذب ما قالوه باتفاق طوائف بني آدم فالذي

يعرف بالحس والعقل الصريح لا يخالفه شرع ولا عقل ولا حس فإن الأدلة الصادقة لا تتعارض مدلولاتها

و لكن ما يقال بقياس فاسد وظن فاسد يقع فيه الاختلاف

انتهى كلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - من كتاب (الرد على المنطقيين)

و ما أعظم علم شيخ الإسلام لمن تأمله ، رحمه الله تعالى..

تم تنسيقه بمعرفة صاحب الموضوع في ce4arab.com
يوم الأحد 22 ذو الحجة 1431 هـ الموافق 28 نوفمبر 2010 م